الدعوة للتنازل عن فلسطين الديمقراطية يساوي التنازل عن ثلاثة ارباع الوطن

ان الدعوة للتنازل عن شعار فلسطين الديمقراطية تساوي تماما الاستعداد العلني للتنازل عن ثلاثة ارباع فلسطين ، وهي الارض المحتلة عام ١٩٤٨ – واعطاء هذا التنازل عن ارض الوطن تبريرات سخيفة يرفضها كل مواطن فلسطيني ، انها دعوة لتقليص الوطن ضمن منطقة التهادن المستميت ، وجملة الاوهام المزمنة عن « النجاحات » التي ترتب في الامم المتحدة ، وعن طريقها تريد « الوطن » الظفر بالدولة الفلسطينية قبل فوات الاوان .

وتأكيدا لنفس البرنامج المتذبذب والملتوي الذي يحكم مواقف « الشيوعيين » ، خاصة تجاه القضايا المصيرية الكبرى ، فقد شمل التأرجح والتخبط موقفهم من شعار « فلسطين الديمقراطيةالعلمانية » ايضا – فنراهم قبل أن يطلعوا علينا بدعوتهم التنازلية ، في كانون الثاني سنة ١٩٧٦ ،اعلنوا تحت عنوان« معالم الطريق ٣٠ – ٣ – ١٩٧٥ » ما يلي : « ان طرح شعار الدوله الديمقراطية كهدف استراتيجي مستقبلي ، هو البديل الذي يطرحه الفلسطينيون للتعنت الاسرائيلي ».

وفي مقطع اخر تضيف « معالم طريق الجبهة الوطنية » : « انانكار اسرائيل لدعوة منظمة التحرير هذه ، يؤكد من جديد رفض اسرائيل في طريق الحل السلمي ، واعتمادها القوة القاهرة » .

وفي شرحها لطبيعة دولة فلسطين الديمقراطية المستقبلية ، تقول « معالم الطريق » : « ان الجبهة الوطنية الفلسطينية تؤمن بانفلسطين المستقبل ، قادرة على احتواء جميع ابنائها على اختلاف انتماءاتهم الدينية والسياسية » .

في أقل من سنة واحدة تغيرت مواقف « الشيوعيين » ، فهم في شباط ٧٥ يرفعون ويتبنون شعار فلسطين الديمقراطية ويعتبرونه استراتيجية ، والبديل الذي يطرحه الفلسطينيون ، ويهاجمون حكومة العدو « لانكارها هذا الشعار الاستراتيجي » ، واليوم تختلف الامور والمقاييس (خلال سنة واحدة ؟) ويصبح الشعار الذي كان بالامس استراتيجيا – يصبح اليوم غير واقعي ، والمطلوب من منظمة التحرير التعامل بما تقتضيه مصلحة النضال وذلك : « بالتخلي عن شعار الدولة الديمقراطية العلمانية » .

– لماذا ؟ « لانه لا يحظى بتأييد القوى التي لعبت دورا هاما في تحقيق النجاحات السياسية لمنظمة التحرير و « التمسك بهذا الشعار يعني اضعاف التحالف مع قوى هامة ومؤثرة » .

انه المهر السياسي بعينه يمارسه نفر من العاملين في سوق عكاظ البهلوانيات السياسية والمواقف التي تصب الان وبعد الان من مستنقع الحل التصفوي ، والذي ترفضه كل جماهيرنا ، ولقد خبرت هذه الجماهير ووعت كل التيارات والطروحات التحريفية والانتهازيةالتي تساوم على القضية ومستقبلها في أقل من لمح البصر .

مواقف جماعة « الوطن » من مشاريع العدو التصفوية

ولمناسبة تناولنا موقف « الشيوعيين » الفلسطينيين (الاردنيين سابقا) من دعوتهم التصفوية موضوع البحث ، فمن المفيد استكمال الجوانب الاخرى المكملة لقناعتهم ودعواتهم ، والرئيسي في مواقف جماعة « الوطن » هو التذبذب والارتداد الواضح ، حيث من الصعب ثبات موقف سياسي ، اذ يصعب الركون والاعتماد على أن لهم مواقف مبدئية ، وهذا ناتج عن طبيعة البنية الطبقية للحزب ، عدم صدق التزامه النظري والسياسي ، وفقدانه للاستقلاليه في تقرير الموقف السياسي على ضوء معطيات الواقع الوطني ومتطلباته الحقيقية والثورية ، وعلاقه ذلك بالموقف العام لمجموع حركه التحرر المحلية ، وهذه من أبرز السمات التي طبعت مسيرة الحزب عبر مراحلهالمختلفة، وانشقاقاته نتيجة ذلك .

يشارك الحزب « الشيوعي » الفلسطيني في هذه السمة البارزة لتذبذب مواقفه ولا استقلالية سياسته – مواقف وسياسات شقيقةالحزب الشيوعي الاسرائيلي – راكاح .

واستمرارا للطبيعة التبعية والمتذبذبة لجماعة « الوطن »واشقائهم كانت أيضا مواقفهم من انتخابات البلديات المؤامرة متذبذبة وتبعية .

ففي العام ١٩٧٢ كان موقف « الشيوعيين » المعلن من انتخابات البلديات والذي نشروه في مذكرة الجبهة الوطنية وتاريخها ١٠ – ١٠ – ١٩٧٥ كالاتي : « لقد وقفت الحركة الوطنية في المناطق المحتلة بكافة فصائلها في وجه المخططات والمشاريع التي تستهدف تزييف ارادة شعبنا وفضحت العملاء والمتآمرين على ارادة هذا الشعب ، وتصدت لمؤامرة الانتخابات البلدية التي تجري وكابوس الاحتلال ما يزال يجثم على صدور ابناء شعبنا ، وكان موقف الحركه الوطنية المبدئي هو لا انتخابات في ظل الاحتلال – فاضحين بذلك دعاة الليبرالية تحت نير الاحتلال الصهيوني » .

هذا هو موقف الشيوعيين عام ١٩٧٢ ، فماذا كان عليه موقفهم عام ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ ؟ لقد تغير موقف الشيوعيين من « مؤامرة الانتخابات البلدية التي تجري وكابوس الاحتلال ما يزال يجثم على صدور ابناء شعبنا » ، واصبح موقفهم الجديد « لنجعل من الانتخابات البلدية معركة وطنية » ، « واصرارا متزايدا على جعل هذه الانتخابات معركةوطنية » فهل انتهى الاحتلال الصهيوني وكابوسه ؟ – هل تغير شيء من معادلة صراع شعبنا « الذي يجثم على صدور ابنائه كابوس الاحتلال » ؟؟!

وهل أصبح الاحتلال الصهيوني ناعما ، ودودا ولطيفا ، وخفف من احتلاله للارض ومصادرة مئات الالوف من الدونمات في الجليل الغربي والضفة الغربية وقطاع غزة ومشارف رفح ، واقلع عن قمع القوى الوطنية لشعبنا وزج ابنائه في المعتقلات وتعذيبهم حتى الموت ، وانتهت عدوانات العدو الصهيوني على الامة العربية ، وهل تغيرت طبيعة العنصرية الاستيطانية ، وهل تخلى عن مبادئه الصهيونية التوسعية، بحيث أمكن القول انه حدثت تغييرات في طبيعة الاحتلال وعدوانيته ويمكن بعدها و « بالضرورة » رفع شعارات « نعم للانتخابات في ظل الاحتلال ، ونعم للتعايش مع الكيان الصهيوني اللطيف » ؟

وهل انتهت صفة اصحاب الدعوة للانتخابات الذين وصفهم الشيوعيون عام ١٩٧٢ بانهم « دعاة الليبرالية تحت نير الاحتلال الصهيوني » واصبح هؤلاء الداعون الى خوض انتخابات البلديات في ظل الاحتلال الصهيوني الجاثم على صدور أبناء شعبنا – ثوريين ، وأمناء على قضيه شعبنا وتحرير الوطن من مغتصبيه ، وأصبحوا يستحقون اسم « وطنيين » انه حقا تذبذب صارخ في موقف لا يحتمل الوسطية ، فبالامس نعت رفاقنا الشيوعيون دعاة الانتخابات في ظل الاحتلال الجاثم « بانهم ليبراليون خونة » .

اما اليوم وحيث هم اصبحوا دعاة الانتخاب في ظل الاحتلال ، فالصفة واللون لا بد وان تختلف ؟!

مواقفهم في الجبهة الوطنية

حين تشكلت الجبهة الوطنية نتيجه اللقاء الوطني الذي تم في داخل الارض المحتلة ، وذلك في منتصف العام ١٩٧٣ وتمخض اللقاء عن تكوين « الجبهه الوطنيه الفلسطينية » التي ضمت « الشيوعيين » كأحد القوى التي شاركت في عمليه تأسيس الجبهة ، وفي ١٥ آب ١٩٧٣ اعلنت الجبهة الوطنية برنامجها السياسي والنضالي الذي وزع في الارض المحتلة ، ونشر في الخارج – وقد جاء في البرنامج بعد أن جاءت مقدمته على ذكر « المحتلون الصهاينة يطلقون العنان لاعمال النهب والسلب والتهديد فوق أرضنا المحتلة » ، « ويتمادى الصهاينة في ذلك كله بالاستناد الى حراب الغزو والاحتلال واستخدام ابشع صنوف الارهاب الاجرامي » ، « وتجاوبا مع نداء المجلس الوطني الفلسطيني الذي انعقد في القاهرة في مطلع هذا العام – تتبنى الجبهة الوطنية في الارض المحتلة البرنامج التالي :

١ – رفض جميع المشاريع التآمرية التي تستهدف قضية شعبنا الفلسطيني والتفريط بحقوقه سواء منها المشاريع الصهيونية مثل الكيان الفلسطيني والادارة المدنية والحكم الذاتي ومشروع آلون أو مشروع الملك حسين ، والحلول الاميركية وما شاكلها من التسويات التصفوية الاستسلامية » .

وفي جانب اخر من ختام البرنامج جاء فيه « ونهيب بكل مواطن تعز عليه أرض الاباء والاجداد وكرامتنا القومية وحرمة مقدساتنا أن يلتف حول هذه الجبهة ، فعدونا عدو شرس يستهدف اقتلاعنا من جذورنا » .

اذن فقد وقع « الشيوعيون » على البرنامج السياسي للجبهة الوطنية في آب ١٩٧٣ م ووافقوا على أن « الاحتلال بالاستناد الى حراب الغزو والارهاب يتمادى في استخدام أبشع صنوف الارهاب » بمعنى أن « الاحتلال لم يزل جاثما على صدور أبناء شعبنا » و « لم تتغير طبيعته لاعطاء مبرر للدعاة الليبراليين لنشردعوتهمالمفضوحة » .

ومن جهة أخرى فقبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ م كان « الشيوعيون » ينادون بأنهم جزء من مؤسسات منظمة التحرير ويدينون بالولاء لها وللبرنامج المجلس الوطني الفلسطيني الذي نص على « مواصلة النضال والكفاح المسلح لتحرير كامل تراب الوطن الفلسطيني ولاقامة المجتمع الديمقراطي الفلسطيني الذي يتوفر فيه حق العمل والحياة الكريمة لكل المواطنين ليعيشوا بمساواة وعدل » .

كيف مارس « الشيوعيون » مواقفهم بعد حرب اكتوبر ؟

بعد حرب اكتوبر التاكتيكية وجدت معطيات وظروف موضوعية جديدة كان من أبرزها التحرك الاميركي الذي بدأه كيسنجر ضمن سياسته التي باتت معروفة « الخطوة خطوة » لايجاد حل سلمي للصراع العربي – الاسرائيلي وفق ما افرزته موازين القوى الدولية والعربية الجديدة والتي أضحت الامبريالية الاميركية متحكمة بها مستندة الى ركائزها في المنطقة – اسرائيلوالرجعياتالعربية وحدث « فك الارتباط » على كل من جبهتي سيناء والجولان . ازاء التحركات الامبريالية والحلول التصفوية التي بذلت في اطار التسوية المطروحه فقد نشأ في الساحة الفلسطينية والعربية موقفان سياسيان :

– موقف ثوري يرفض التحركات الامبريالية الجديدة والاسس المطروحة لحل النزاع العربي – الاسرائيلي والتي تقوم على أساس القرار ٢٤٢ وملحقاته والتي تعني في النهاية انهاء ظاهرة الكفاح المسلح وذبح البندقية الفلسطينية ، وتوقيع صكوك الصلح والاعتراف بالعدو الاستيطاني الصهيوني .

– وموقف قابل ومستسلم وعلى أستعداد للقاء في مؤتمر جنيف بالعدو الصهيوني لتوقيع معاهدة صلح واعتراف .

ولقد جمد الطرف الثوري عضويته في الجبهة الوطنية احتجاجاعلى خروج « الشيوعيين » وأضرابهم عن البرنامج السياسي للجبهةالوطنية، وبقي « الشيوعيون » ومن لف لفهم من أنصار « البرامج الواقعية » ، « والسلطة الوطنية» والهاتفين لقرارات الامم المتحدة ومؤتمر جنيف في الجبهة الوطنية والتي لم يتعد دورها اصدار البيانات (في الخارج فقط) وبشكل موسمي .

مواقف « الشيوعيين » بعد حرب أكتوبر

في بيانها تحت عنوان « فصل القوات على خطوط المواجهة – ابعاده ومراميه – اوائل شباط ١٩٧٤ » نشرت الجبهة الوطنية « في الخارج طبعا » رأيها حول مسأله فصل القوات على جبهة سيناء جاء فيه : « ان عملية فصل القوات لا تزيد عن كونها خطوة الانسحاب الاولى من عملية مستمرة لتنفيذ قرارات الامم المتحدة ٢٤٢ ، ٣٣٨ » .

وأضاف بيان الجبهة الوطنية « ان هذه العملية قد سحبت زمام المبادرة من يد اسرائيل » وبعد أن استعرض البيان حسنات العملية باعتبارها اجبارا لاسرائيل على احترام قرارات الامم المتحدة قالت نشرة « الشيوعيين » : « لكل ذلك فان قرار الفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية يعتبر خطوة الى الامام واحراجا مستمرا للعدوان الاميركي الاسرائيلي » .

● بالامس في آب ١٩٧٣ كان « الشيوعيون » ضد « جميع المشاريع التآمرية التي تستهدف قضية شعبنا والتفريط بحقوقه سواء منها المشاريع الصهيونية مثل الكيان الصهيوني » .

● واليوم : فهم يعتبرون الاتفاق الاول للنظام المصري العميل مع العدو الصهيوني في اطار فك الارتباط الاول هو « خطوة الى الامام واحراجا مستمرا للعدوان الاميركي الاسرائيلي » .

● أي عملية تزوير وتضليل فظة يمارسها « الشيوعيون » في هذا المجال ٠٠؟؟!! أميركا التي أشرفت على عملية فك الارتباط الاول وسعت بكل قواها اليه بعد أن ضمنت ارتماء السادات في احضانها (سياسيا واقتصاديا) ومع هذا يعتبر الشيوعيون ذلك احراجا لاميركا صانعة الحل ومخرجته ؟

● من قال ذلك غير (؟) غير « الشيوعيين » وأشباههم ؟!!

وفي مجال رفض تزوير رأي اللجنة المركزية للجبهة الوطنية أنذاك أرسل نائب رئيس الجبهة في الداخل الى مكتب الجبهة الوطنية في الخارج والى احد القياديين الفلسطينيين هنا كتابا ينتقد فيه صدور بيانات باسم الجبهة الوطنية « دون علمنا ولا نريد أن تصدر مثل هذه البيانات أو الكتب الا بعلمنا وبعد موافقتنا » وأبدى احتجاجه على ما تضمنه هذا الموقف !!

« الشيوعيون » ومؤتمر جنيف

في مذكرة اعلاميي « الجبهه الوطنية الفلسطينية – التي في الخارج طبعا » للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بتاريخ ١ – ١٢ – ٧٣ أوردت المذكرة رأي ما يسمى « بالجبهة الوطنية الفلسطينيه فيالارض المحتلة » حول مؤتمر جنيف فقالت : « ان الجبهة الوطنية ومن خلال تحسسها العميق لاوضاع شعبنا في الارض المحتلة لتشعر بأن من واجبها التأكيد مرة أخرى على ضرورة اتخاذ مواقف ايجابية من مؤتمر جنيف » وكرر « الشيوعيون » الفلسطينيون « رأيهم من مؤتمر جنيف في ٢٠ – ٣ – ١٩٧٥ » في نشرة « معالم الطريق » اذ قالوا « ان الجبهة الوطنية الفلسطينية تؤمن بأن الدخول الى مؤتمر جنيف حق من حقوق منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد » وقد أكد هذه القناعة